ومكانتهم في الإسلام

تأليف

الدكتور عمر وفيق الداعوق

مدرس العقيدة في قسم أصول الدين
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

مؤمنو أهل الكتاب
ومكانتهم في الإسلام

الطّبْعَة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار البشائر الإسلاميّة
للطبَاعَة وَالنشر وَالتوزيع بَيروت - لبنان - ص.ب: ١٤ - ٥٩٥٥

مؤمنو أهل الكتاب

ومكانتهم في الإسلام

تأليف

الدكتور عمر وفيق الداعوق

مدرس العقيدة في قسم أصول الدين

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

دار البشائر الإسلامية

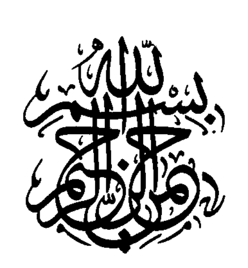

المقـــدّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تنوع البيان القرآني، وتعددت طرقه وأساليبه وذلك في معرض إقامة الحجة على الناس، وامتازت خصائصه بعدة أساليب، منها: الخطابـي، والبرهاني، والجدلي.

ويعنينا منها في هذا المقام ما يتعلق بأهل الكتاب، إلاَّ أنه لا بد من الاعتراف بالعجز عن الإحاطة بكل ما يخصهم، لكثرة القضايا التي عالجها القرآن الكريم لهم.

والـدارس لأسلوب الخطـاب القـرآنـي لأهـل الكتـاب يجد منهـج الترهيـب والتـرغيب فيـه من أبرز الأسـاليب نفعـاً في القضايـا الدينية، وعليه فإن محور هذا البحث ينطلق منه، إذ أنه ثمرة من ثماره، وأثر من آثـاره.

ففي جانب الترهيب نجد النصوص الشرعية تتضافر لإلزام أهل الكتاب بمنهج الحق والصواب، وتـرك الشـك والارتيـاب، وبيـان عقـم العقـائـد التـي ينتحلها القوم، والدعوة إلى ضرورة التخلي عنها، والتحلي بعقيدة التوحيد، وتنزيه الباري عز وجل عن كل ما لا يليق بذاته العلية، والبعد عن التجسيم والتشبيه، وتحذيرهم من مغبة الاستمرار والعكوف على العقائد ذات الأصول الوثنية. وإنذار المعاندين منهم بالعذاب الشديد والعقاب الأليم، خاصة لمن نسب لله تعالى الصاحبة والولد.

أما في جانب الترغيب، فإن القرآن الكريم يخاطبهم بأوفى عبارة وأجلى إشارة وبأسلوب يبعث على ترقيق القلوب القاسية، وتليين الطباع الجافة

والرقـاب الغليظـة، مبينـاً محاسن الإسلام، مظهراً ما أعـدَّه الله تعـالى مـن أجـر وثـواب لمـن آمـن من أهل الكتـاب. ولفت الانتبـاه إلى الصفات التي يتحلى بها المؤمنون، والمناقب الأخلاقية والسلوكية التي يتمتعون بهـا.

هذه الفئة المؤمنة، أسلمت قيادها لله تعالى لما جـاءتهـا البينـات، وهـي فـي حـد ذاتهـا حجـة علـى المعاندين المكذبين برسالة محمد ﷺ.

ووقع اختياري على هذا البحث لعدم توفر مؤلَّف مفرد يلم بأحوال وخصائص ومناقب مؤمني أهل الكتاب وفق ما جاء به الشرع الحنيف، وقد وجدت بعض المؤلفات عن الداخلين في الإسلام بشكل عام، إلاَّ أنها لم تتطرق إلى إبراز مكانة مؤمني أهل الكتاب فـي الإسـلام علـى وجـه الخصـوص، ومقـدار الأجـر والثـواب المعـد لهـم، وواجـب المسلميـن نحـوهـم، وواجبهم نحو الإسلام.

وربمـا كـان التـذكيـر بـأحـوالهـم فـي المـاضـي والحاضر وما ينبغي أن يكون عليه مستقبلهم هو المهم

والمقصود من إثارة هذه القضية وطرحها على بساط البحث.

وهذه المهمة قد يغفل عنها كثير من الدعاة، وقد رأيت من الواجب التذكير بهذا الموضوع، سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد.

عمر وفيق الداعوق

بيروت في ٦ ربيع الأنوار ١٤١٩هـ
الموافق ٣٠ حزيران ١٩٩٨م

المبحث الأول

مؤمنو أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنّة وأقوال العلماء

وفيه:

أولاً: التعريف بهم

للعلماء أقوال في مفهوم أهل الكتاب، فمنهم من قال: «إن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى على وجه الخصوص» وهذا مذهب الشافعية والحنابلة.

قال ابن قدامة: «وأهل الكتاب.. هم أهل التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٦.

فأهل التوراة اليهود والسامرة. وأهل الإنجيل النصارى، ومن وافقهم في أصلهم. . أما ما سوى هؤلاء من الكفار المتمسك بصحف إبراهيم وشيث وزبور داود فليسوا بأهل كتاب[1].

أما الأحناف فمفهوم أهل الكتاب عندهم: كل من يعتقد ديناً سماوياً وله كتاب منزل. قال الزيلعي:

«كل من يعتقد ديناً سماوياً وله كتاب منزل كصحف إبراهيم وشيث وزبور داود عليهم السلام فهو من أهل الكتاب، فتجوز مناكحتهم وأكل ذبائحهم خلافاً للشافعي»[2].

كما بيَّن الجصّاص ـ من الأحناف ـ اختلاف الأقوال في هذا الشأن ونفى أن يكون المجوس من أهل

---

(١) المغني لابن قدامة (٦/ ٥٩٠ ـ ٥٩١)، وانظر المجموع شرح المهذب للنووي في معرفة أقوال الشافعية (١٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤).

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان الزيلعي (٢/ ١١٠).

الكتاب، وأوضح رأي الإمام أبـي حنيفة في الصابئة[1].

ويعود سبب الخلاف بين الفقهاء لكثرة الفرق الموجودة آنذاك، وقد كان من الضروري التعريف بهم لتحديد قيمة الجزية المفروضة.

أما التعريف بمؤمني أهل الكتاب:

فهم الذين دخلوا في دين الله تبارك وتعالى المنزل على محمد ﷺ وآمنوا بما أنزل عليه، عقيدة وشريعة والتزموا به قولاً وعملاً، وقد كانوا من قبل على شريعة سماوية، وعلى وجه الخصوص اليهود والنصارى؛ لقوله ﷺ: «من أسلم من أهل الكتابين»[2].

ومن المعلوم أن الحوار مع أهل الكتاب لم ينقطع منذ بزوغ فجر الإسلام الحنيف؛ وذلك للعوامل الخصبة والمقومات التي يرتكز عليها دين التوحيد

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٢٧)، (٣/ ٩١).
وللمزيد يراجع «أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام»، د. عبد الكريم زيدان (ص ١١ ـ ١٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٢٦)، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى.

الخالص. وعليه فقد أخذ علماء الأمة الإسلامية على عاتقهم حوار اليهود والنصارى على اعتبار أنهم أصحاب كتب سماوية مستندين إلى قوله تعالى:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2].

ومن المقطوع به أن أهل الكتاب حرفوا وبدلوا ما أنزل الله إليهم، ولهذا دار الجدال بين المسلمين وبينهم حول القضايا العقدية في المقام الأول، وقد وجد بين القوم من لم يرتض هذا التحريف وذاك التزييف، وبقي على إيمانه بالتوحيد الخالص، متمسكاً بتعاليم الأنبياء والرسل عليهم السلام.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى هذا الأمر فقال: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2].

وقد نجم عن الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب دخول العديد من كبار علماء وأعلام النصارى واليهود في دين الله تبارك وتعالى كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، وابنيّ سعنة، وابن يامين، وكعب الأحبار، وكان ذلك في عهد الرعيل الأول[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

(٢) سورة المائدة، الآيات ٨٢ ــ ٨٤.

(٣) انظر: منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر (ص ١٠٠).

ثم توالت هذه المواكب فيما بعد فنجد: إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، والسموأل بن يحيى المغربي. . . وأشباههم من علماء اليهود، في العصور الوسطى[1]، ثم كوكبة ممن فتح الله قلوبهم للتقوى في العصر الحاضر[2].

أما من النصارى فنجد: تجيرا، ونسطورا، وصاحب بصرى، وأسقف الشام، والجارود العبدي، وسلمان الفارسي، ونصارى الحبشة، وأساقفه نجران، وكان هذا في فترات مختلفة من الماضي[3].

أما في الحاضر فهناك الكثيرون ممن دخلوا في

---

(١) انظر: «الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، للأورشليمي، ت: عبد الوهاب طويلة. وكذا «إفحام اليهود» للسموأل المغربي، ت: د. محمد عبد الله الشرقاوي.

(٢) انظر: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، محمد كامل عبد الصمد (١/ ١٩٧).

(٣) انظر: منحة القريب المجيب (ص ١٠٠).

الدين أفواجاً[1]. هذا هو المقصود بمؤمني أهل الكتاب والذي يدور البحث حولهم.

* * *

(١) انظر: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، محمد كامل عبد الصمد، بأجزائه الثلاثة. وكذا: رجال ونساء أسلموا، لعرفات كامل العشي، دار القلم، ط ٢، ١٣٩٢هـ. وكذا: حوارات مع مسلمين أوروبيين، د. عبد الله أحمد قادري الأهدل. وينشر العديد من الدوريات والصحف، مقابلات ومقالات حول الداخلين الجدد في الإسلام، انظر على سبيل المثال: «جريدة المسلمون»، الصادرة في ١٩٩١/٨/٢م؛ ومجلة الفيصل، عدد سبتمبر ١٩٩٢م؛ ومجلة اليمامة السعودية الصادرة في ١٦ ذي الحجة ١٤٠٩هـ. إلى جانب العديد من هذه الصحف والمجلات في الأقطار العربية والإسلامية.

ثانياً:

الآيات القرآنية الدالّة عليهم

ورد في القرآن الكريم آيات عديدة عن أهل الكتاب، فرقت بين عامتهم وبين من آمن منهم، وبينت الأسباب التي دعتهم إلى الإسلام ونبذ العقائد البالية.

فمن ذلك قوله تعالى:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآيات ١٦٠ ــ ١٦٢.

كما قال تعالى في حقهم:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

وعن اتِّباعهم للنبي ﷺ يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[2].

وعن السجايا التي يتمتعون بها جاء قوله تعالى:

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا

---

(١) سورة القصص، الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

ويقول أيضاً:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾[2].

وعن حبهم لكتاب الله:

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾[3].

* * *

---

(١) سورة الإسراء، الآيات ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيات ١١٣ ـ ١١٥.

ثـالثـاً:
الأحاديث الشريفة الورادة في حقهم

أما السنَّة النبوية المطهرة فقد ورد فيها العديد من الأحـاديـث التـي تبيـن اهتمـام النبـي ﷺ بـأولئـك المؤمنين، ومن ذلك ما جاء في قوله:

«ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيـه وآمـن بمحمـد ﷺ، والعبـد المملـوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»[1].

ومـنــه قـولـه ﷺ:

«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب: ٣١، تعليم الرجل أمته وأهله (١/ ٣٢ ــ ٣٣).

الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبـي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران»[1].

وروى الإمام أحمد عن أبـي أمامة قال:

«إني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح، فقال قولاً حسناً جميلاً، وقال فيما قال: «من أسلم من أهل الكتابين، فله أجره مرتين، وله ما لنا وعليه ما علينا. ومن أسلم من المشركين فله أجره، وله ما لنا وعليه ما علينا»[2].

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم الحديث (٢٤١ ـ ١٥٤)، (١/ ٤٦٤). ورواه الترمذي بلفظ مقارب في كتاب النكاح، رقم الحديث (١١١٦) (٣/ ٤٢٤)، والنسائي في كتاب النكاح أيضاً رقم الحديث (٣٣٤٤)، (٦/ ١١٥)، وابن ماجه (١/ ١٩٥٦).

(٢) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٢٢٣/ ٩٨)، (٥/ ٣٢٦).

وفي هذا الحديث بيان واضح من النبـي ﷺ لمقدار الأجر والثواب المضاعف لمن آمن من أهل الكتاب، أي: من اليهود والنصارى لتخصيص الكتابين بالذكر.

رابعاً:

آراء العلماء وأقوالهم في مؤمني أهل الكتاب

يُجمع أهل السنة والجماعة على أن الآيات السابقة نزلت في حق مؤمني أهل الكتاب، وقد ذكر العلماء ذلك في الكثير من كتب التفسير، قال ابن كثير: «والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن عباس، أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعنة وشعبة وغيرهم»[1].

ففي قوله تعالى: ﴿ ۞لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ... ﴾، أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٧).

من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾، أي: ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه، متبعة نبي الله؛ فهي قائمة يعني مستقيمة[1].

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ. . .﴾[2] الآية.

قال جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة: «نَزَلَتْ في النجاشي، وذلك لما مات[3] نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «اخرجوا فصلوا على أخ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

(٣) انظر: نعي النبي ﷺ للنجاشي في: صحيح البخاري، كتاب الجنائز (٢/ ٩٠)، وفي صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، رقم الحديث (٦٤ ــ ٩٥٢)، (٤/ ٢٦).

لكم مات بغير أرضكم، فقالوا: ومن هو؟ فقال: «النجاشي»، فخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع، وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي، وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له، وقال لأصحابه: «استغفروا له»، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا، يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[١].

قال الشوكاني: «سيقت لبيان أن بعض أهل الكتاب لهم حظ من الدين وليسوا كسائرهم في فضائحهم التي حكاها الله عنهم فيما سبق وفيما سيأتي، فإن هذا البعض يجمعون بين الإيمان بالله وبما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ وما أنزل على أنبيائهم حال كونهم ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ﴾، أي: لا يستبدلون ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ﴾[٢] بالتحريف والتبديل كما يفعله سائرهم، بل يحكمون كتب الله

---

(١) أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: د. مصطفى ديب البغا (ص ١٠١).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

سبحانه وتعالى كما هي، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أي: هذه الطائفة الصالحة من أهل الكتاب»[1].

وتعرَّض الإمام الرازي في تفسيره للحديث عن هذه الطائفة الصالحة، وبيَّن المسائل المتعلقة بالآيات التي تحدثت عن مناقبهم وصفاتهم، فقال في قوله تعالى ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾[2]:

«اعلم أنه تعالى لمَّا وصف طريقة الكفار والجهال من اليهود وصف طريقة المؤمنين منهم فقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ...﴾ الآية.

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن المراد من ذلك عبد الله بن سلام وأصحابه الراسخون في العلم الثابتون فيه، وهم في الحقيقة المستدلون بأن المقلد يكون

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤١٤).

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٢.

بحيث إذا شكك يشك، وأما المستدل فإنه لا يتشكك البتة، فالراسخون هم المستدلون والمؤمنون، يعني: المؤمنين منهم، أو المؤمنين من المهاجرين والأنصار..

المسألة الثانية: اعلم أن العلماء على ثلاثة أقسام.. ــ وذكر من القسم الثالث ــ: أنه تعالى وصَفَهم بكونهم راسخين في العلم، ثم شرح ذلك فبين أولاً: كونهم عالمين بأحكام الله تعالى وعاملين بتلك الأحكام، فأما علمهم بأحكام الله فهو المراد من قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾»(١).

وبيَّن الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أن أهل الكتاب كانوا يعلمون أن نبوة محمد ﷺ حق وأنه مرسل من عند الله تبارك وتعالى، وفسر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾(٢)، بقوله:

(أي يعرفون نبوته وصدق رسالته، والضمير عائد على محمد ﷺ. قاله مجاهد وقتادة وغيرهما. وقيل:

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٦/١٠٧ ــ ١٠٨).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

نزلت في أمر تحويل القبلة عن بيت المقدس)[1].

(وخصَّ الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس وإن كانت ألصق لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيها ابنه، وروي أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه)[2].

وقد بيَّن الحق تبارك وتعالى ما لهؤلاء المؤمنين من أجر وثواب، حيث يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٢).
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٣).
(٣) سورة القصص، الآيات ٥٢ ــ ٥٥.

روى الطبراني عن مجاهد قال: قوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾: هم مسلمة أهل الكتاب. قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار بسنده إلى ابن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة ـ يعني أباه ـ إلى النبي ﷺ فآمنوا، فأوذوا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾.

وبسنده عن قتادة قال: (كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون إليها حتى بعث الله محمداً ﷺ، فآمنوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الأول واتباعهم محمداً ﷺ وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام)[1].

أما ما جاء في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٨٩)، وهناك أقوال أخرى ذكرها ابن جزي في التسهيل (٣/ ٢٢٣ ـ ٢٣٤).

﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ . . .﴾[1]، فهذه «صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم»[2].

وجاء في آخر الآيات:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

«أي المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون الفائزون بالمطلوب، لا يتصفون بأضداد صفاتهم، وفيه الإشارة إلى علية تلك الصفات للحكم، وكاف البعد للإيذان ببعد المنزلة، وعلو الدرجة في الفضل والشرف، والمراد من الموصول المخبر عنه بهذه الجملة عند ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود الذين آمنوا برسول الله ﷺ. وقيل: ما يعمهم وغيرهم من أمته عليه الصلاة والسلام المتصفين بنعوت الصلة

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥١).

إلى يوم القيامة. . وهو الأولى)[1].

أما ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾، أي: «إذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾. يقولون: صدقنا به ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾، أي: من عند ربنا نزل قبل مجيء نبينا محمد ﷺ من الكتب، وفي كتبهم صفة محمد ﷺ ونعته فكانوا به وبنعته مصدقين قبل نزول القرآن، فكذلك قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾[2].

وفي قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾[3].

روى الإمام القرطبي عن قتادة قوله: (هم أصحاب النبي ﷺ، والكتاب على هذا التأويل القرآن.

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٩/ ٨٢).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٨٩).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢١.

وقال ابن زيد: هم من أسلم من بني إسرائيل. والكتاب على هذا التأويل التوراة، والآية تعم)[1].

أما في السنة النبوية الشريفة:

فقد جاءت أحاديث كثيرة تبيِّن معرفة أهل الكتاب بصفات النبي ﷺ. فمن ذلك ما رواه البخاري بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ ﴾.

قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إلٰه إلَّا الله، يفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)[2].

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٩٥ ــ ٩٦).

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح (٤٨) (باب ٣)، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ ﴾ (٦/ ٤٤ ــ ٤٥)، وكذا في كتاب البيوع (باب ٥٠) كراهية =

وروى الإمام أحمد بسنده عن صخر العقيلي: حدثني رجل من الأعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعي قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبـي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن لـه فـي المـوت، أجمـل الفتيـان وأحسنهـا، فقـال رسول الله ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة، إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وأشهد أنك رسول الله، فقال: أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم تولى كفنه والصلاة عليه»[١].

= السخب في السوق، (٣/ ٢١)، وفي مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٤).

(١) المسند (٥/ ٤١١)، قال ابن كثير في سنده: هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس، انظر تفسير القـرآن العظيـم (٢/ ٢٥٠)، والـدر المنثـور للسيـوطـي =

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة: عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل: «لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح»[1].

كما أخرج ابن سعد في الطبقات عن سهل مولى عتيبة أنه كان نصرانياً من أهل مريس، وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه، وأنه كان يقرأ الإنجيل، قال: فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة، فأنكرت كتابتها حيث مرت بي ومسستها بيدي، قال: فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء، قال ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد ﷺ، أنه لا قصير ولا طويل، أبيض، ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير، ويحتلب

= (٣/ ١٣١)، وفي تاريخ ابن عساكر (١/ ٣٣٧) بلفظ مقارب.
والتفسير المأثور عن عمر بن الخطاب (ص ٣٨٦).

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨)، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٦٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٦١)، وفي تاريخ ابن عساكر (١/ ٣٣٧).

الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر وهو يفعل ذلك، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد، قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد ﷺ، جاء عمي، فلما رأى الورقة ضربني، وقال: ما لك وفتح هذه الورقة وقراءتها؟ فقلت: فيها نعت النبي ﷺ، أحمد، فقال إنه لم يأت بعد[1].

وأخرج ابن سعد عن جرير بن حازم: حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نعت رسول الله ﷺ في التوراة إلاَّ رأيته إلاَّ الحلم.

وإني أسلفته ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم، فتركته حتى إذا بقي من الأجل يوم أتيته فقلت: يا محمد اقض حقي، فإنكم معاشر بني عبد المطلب مطل، فقال عمر: يا يهودي الخبيث، أما والله لولا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٦٣)، وفي تاريخ ابن عساكر (١/ ٣٣٨)، وأورد الآلوسي العديد من الروايات حول هذا الموضوع. انظر: روح المعاني (٩/ ٨٠ ـ ٨١).

مكانه لضربت الذي فيه عيناك، فقال رسول الله ﷺ:

«غفر الله لك يا أبا حفص، نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما علي، وهو إلى أن تكون أعنته في قضاء حقه أحوج»، قال: فلم يزده جهلي عليه إلاَّ حلماً. قال: «يا يهودي إنما يحل حقك غداً»، ثم قال: «يا أبا حفص اذهب به إلى الحائط الذي كان سأل أول يوم فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعاً وزده لما قلت له كذا وكذا صاعاً فإن لم يرض فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا».

فأتى به الحائط فرضي تمره، فأعطاه ما قال رسول الله ﷺ، وما أمره من الزيادة، قال: فلما قبض اليهودي تمره قال: أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وأنه رسول الله، ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر إلاَّ أني قد كنت رأيت في رسول الله ﷺ صفته في التوراة كلها[1]

(١) ومما يؤيد هذا الكلام ذلك الاكتشاف الذي تم في سنة ١٩٤٧، ويعود إلى فرقة من بني إسرائيل كانت تسمى «بالآسانيين» أو «القمرانيين» والتي نشأت في القرن الثاني قبل الميلاد وانقرضت حوالي سنة ٧٠ ميلادية بعد أن =

إلاَّ الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة. وإني أشهدك أن هذا التمر وشطر مالي في

= خلفت وراءها مخطوطات وسميت فيما بعد بمخطوطات البحر الميت، أو مخطوطات كهوف قمران، وكانت هذه الفرقة تتهم الفرق اليهودية الأخرى بتحريف التوراة وقتل الأنبياء وتعذيبهم، وأن هذه الفرقة كانت تؤمن بمبعث نبي آخر الزمان ومن صفاته أنه يحمل في كتفه خاتم النبوة، وأنها تنتظر مجيئه لتحارب الفرق الضالة، وله صفات أخرى موجودة في التوراة، يراجع في هذا الصدد:

(أ) حياة المسيح، عباس محمود العقاد، المجموعة الكاملة (١١/٢١٦)، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(ب) مخطوطات البحر الميت، محمود العابدي، الأردن طبعة ١٩٦٧.

(ج) مخطوطات البحر الميت، حسين عمر حمادة، الأردن ١٩٨٢م.

(د) مخطوطات البحر الميت والبحث في أصول النصرانية الأولى. د. فاروق عمر عبد الله، ١٤٠٦هـ، محاضرة في جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة.

(هـ) كنز قمران، مدارج البحر الميت، اثناسيوس، يشوع صموئيل طبعة ١٩٨٥. إلى جانب من المراجع الأخرى.

فقـراء المسلميـن، فقـال عمـر، فقلـت: أو بعضهـم، فقال: أو بعضهم، قال: وأسلم أهل بيت اليهودي كلهم إلاَّ شيخاً كان ابن مائة سنة فعسا على الكفر[1].

* * *

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣٦١)، وانظر التفسير المأثور عن عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه، إبـراهيـم بـن حسـن (ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

خامساً:

صفاتهم ومناقبهم

من خلال استقراء آيات القرآن الكريم تتضح السمات العقدية والسجايا الخلقية والسلوكية لمؤمني أهل الكتاب، شأنهم في ذلك شأن جميع الذين اتخذوا دين الله تعالى طريقاً ومنهاجاً، فالإيمان الفطري المتغلغل في حنايا قلوبهم يلقي عليهم ظلال محبة الله تعالى فلا يصدر عنهم إلاَّ ما يوافق شرع الله.

وفضلاً عن إيمانهم بالأنبياء والرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر، فقد تحلّوا بصفات لا تفارقهم، سطَّرها كتاب الله عز وجل، ومنها:

١ ــ الاستسلام لأمر الله والإقرار بدينه الحنيف:

قال تعالى في حقهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن

﴿رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ...﴾ الآية.

فإيمانهم بالقرآن المنزل على محمد ﷺ جاء بعد إيمانهم بالكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين. فقد كانوا مسلمين منقادين لدعوة الحق، وإيمانهم بمحمد ﷺ نابع من تعاليم كتبهم الصحيحة الأولى التي خلت من التحريف والتزييف والتي بشرت بمبعث النبي ﷺ.

٢ ـ الصبر على إذاية قومهم لهم:

وذلك لما أسلموا لله تعالى قيادهم، أو غير ذلك من أنواع الصبر[2] كالصبر على اتباع الحق وتجشم مثل هذا شديد على النفوس[3]. ولهذا قال الحق تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[4].

---

(١) سورة القصص، الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٣/ ٢٣٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٩٣).

(٤) سورة القصص، الآية ٥٤..

والشواهد كثيرة في عصرنا الحاضر، إذ أن هذه النماذج البشرية، لا زالت إلى الآن تتعرض للإرهاب الفكري والجسدي من قبل أعداء الحق[1].

٣ ـ تقديم النافع على الضار:

إن قوة التحمل لدى المؤمنين قادرة على العطاء والبذل، وفوق ذلك تظهر الصورة الناصعة لعباد الرحمن، ليكونوا مثلاً يحتذى به، فهم يقدمون النافع على الضار ولهذا وصفهم الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[2]، وذلك لما يقال

---

(١) انظر كتاب: «لماذا وكيف أسلمت»، للشهيد أحمد سامي عبد الله، الذي يروي فيه قصة إسلامه والعذاب الذي مرَّ به، ثم ما أفيد عن استشهاده فيما بعد على يد أحد أفراد أُسرته، ضمن سلسلة كتب دعوة الحق، السنة السادسة ـ العدد ٦٥، شعبان ١٤٠٧هـ = إبريل ١٩٨٧م ـ والعدد ٧٨ ـ السنة السابعة، رمضان ١٤٠٨هـ = مايو ١٩٨٨م. وللمزيد يراجع كتاب «الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء» (١/ ٥١ ـ ٥٢).. للوقوف على مدى المعاناة التي يتعرض لها الداخلون في دين الله تعالى.

(٢) سورة القصص، الآية ٥٤.

لهم من الكلام القبيح، أو أن المراد بالحسنة ما يجاوبون به من الكلام الحسن، أو يريد بذلك سيئات أعمالهم وحسناتهم كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1].

وتبعاً لهذا مدحهم الحق تبارك وتعالى، بالترفع عن الدنايا، والإعراض عن السفهاء ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، إن إعراضهم عن اللغو تكرماً وتنزهاً وتأدباً بآداب الشرع، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾، واللغو هنا هو ما يسمعونه من المشركين من الشتم لهم ولدينهم والاستهزاء بهم[2] وهو ساقط الكلام[3].

﴿وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾، أي: لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يلحقكم من نفع إيماننا شيء[4].

---

(١) سورة هود، الآية ١١٤.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٧٨).

(٣) التسهيل لابن جزي (٣/ ٢٣٤).

(٤) فتح القدير(٤/ ١٧٨) والتسهيل (٤/ ٢٣٤).

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ معناه المتاركة والمباعدة لا التحية، أو كأنه سلام التطرف والبعد[1].

قال ابن كثير:

(روى محمد بن إسحاق في سيرته: أنه قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة.

فلما فرغوا من مساءلة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن.

فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتبهم من أمره.

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم، من أهل دينكم، ترتادون لهم لتأتوهم

---

(١) التسهيل (٣/ ٢٣٤).

بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه فيما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً) ويقال إن هؤلاء النفر النصارى من أهل نجران[1].

٤ ـ البذل والإنفاق في سبيل الخير:

الاعتراف بفضل الله تعالى يوجب عليهم الإسراع في تزكية أموالهم بعد تزكية النفوس، فأبواب المنعم مفتوحة لهم، سواء كانت مادية أو معنوية، وعليه فإنهم ينفقون أموالهم في الطاعات وفيما أمر به الشرع[2] في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم، والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات[3]، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤).

(٢) فتح القدير (٤/ ١٧٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٩٤).

(٤) سورة القصص، الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

٥ ــ الخشوع في العبادة:

من السجايا الحميدة ما جبلوا عليه وميزوا من الخشوع والخضوع لله تبارك وتعالى وذلك في صلواتهم، والتضرُّع إليه سبحانه ليمنّ عليهم بفضله وإحسانه وإنعامه ومغفرته. ولهذا فإن البكاء الصادق النابع من أعماق القلوب دليل على رهافة إحساسهم ورقة قلوبهم وهذا هو الفرق بينهم وبين الذين وصفهم الله تبارك وتعالى «بالقاسية قلوبهم».

ولهذا مدحهم الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾[1].

هذه الصفات العامة هي فيوضات الإيمان الناصع الذي لا تشوبه شائبة، «فإن كان الإيمان بالله تعالى صحيحاً منسجماً مع الوحي الثابت الصحيح، سهل التقاء رافدي الإيمان، وتيسر الدمج بين الإيمانين، إن تجرد الإنسان عن العصبية والهوى، والمصلحة الذاتية، والنفع المادي، وهذا ما تحقق لجماعة من أهل

(١) سورة الإسراء، الآية ١٠٧.

الكتاب من بني إسرائيل، آمنوا بالله رباً واحداً لا شريك له قبل القرآن بمقتضى كتابهم السماوي، ثم آمنوا بالقرآن، لمطابقته مع أصل ذلك الكتاب المتقدم، وهؤلاء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، ومن أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام، وكانوا أئمة النصارى، منهم: بحيرا الراهب، وأبرهة، والأشرف، وعامر، وأيمن، وإدريس، ونافع؛ وقيل: أكثر من ذلك[1].

ويمكننا القول أيضاً إن مسيرة الإيمان تلك لم تنقطع ولم تتوقف على مر التاريخ الإسلامي، وإلى يومنا هذا نرى ونسمع ونقرأ عن أناس من أهل الكتاب ـ وما أكثرهم ـ دخلوا في دين الله تعالى، وأسلموا وحسن إسلامهم وكتبوا وألفوا ورووا المشاهدات التي رأوها وتحدثوا عن انطباعهم عن الإسلام وما وجدوا فيه بروايات مشابهة لقصص من سبقهم من مؤمني أهل الكتاب.

---

(١) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي (٢٠/١٢٨).

إذا كانت هذه هي أهم صفاتهم ومناقبهم فما الذي أعده الله لهم من جزاء؟

الأجر والثواب في ثمرات الإيمان

إن هذا الإيمان المفعم بالصدق والإخلاص من أصحابه، له من الله تعالى الجزاء الحسن والأجر العظيم، وهذا بدوره يجعل هؤلاء المؤمنين في حبور وانشراح لما في الصدور.

إن مضاعفة الأجر والثواب لهؤلاء، المعلن عنها في كتاب رب العالمين لا يتغير ولا يتبدل فهو تقرير من لدن حكيم خبير، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[1].

ويقول: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾[2].

ويقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾[3]،

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٢.

ويقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩٩﴾[1].

إن الجزاء في الإسلام من جنس العمل، وهؤلاء أراد الله تعالى أن يكرمهم لقاء ما قدمت أيديهم من طاعات، ولهذا فإن الحق جلَّ وعلا يمنّ عليهم بالأجر والثواب على ما بدر منهم والنبي ﷺ يؤكد هذا الأمر فيقول: (ثلاثة لهم أجران.. ــ وعدَّ منهم ــ: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران)[2].

* * *

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، رقم الحديث (٢٤١)، (١٥٤)، (١/ ٤٦٤).

http://kotob.has.it

المبحث الثاني

مؤمنو أهل الكتاب والطريق إلى الإسلام

وفيه:

أسباب دخولهم في الإسلام

ختم الله تعالى الرسالات السماوية برسالة محمد ﷺ، والتي تعتبر بحق أعظم حدث في التاريخ على الإطلاق، إذ أنها عامة وشاملة، وصالحة لكل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(١)، وهي من عند الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢)، وأنها ناسخة لما قبلها من الشرائع: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩.

﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[١].

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: «ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلَّا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته[٢].

وهناك العديد من الأسباب وراء دخول هؤلاء في الدين، وسنتناول بالدرس فيما يلي بعضاً منها.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٨).

أولاً:

ذكر صفات النبي ﷺ في كتبهم

إن علماء أهل الكتاب يعرفون هذه الحقائق كما يعرفون صفات النبي ﷺ في كتبهم، وقد كشف الحق تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[1].

قال الإمام القرطبي، أي: يعرفون نبوته وصدق رسالته، والضمير عائد على محمد ﷺ[2].

ويؤيد هذا ما تقدم من رواية عمر رضي الله عنه حينما قال لعبد الله بن سلام رضي الله عنه، «أتعرف

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٢)، وقيل نزلت في تحويل القبلة عن بيت المقدس.

محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ قال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه»[1].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2].

أي: يعرفون النبي ﷺ.. وقيل: يعود على الكتاب، أي: يعرفونه على ما يدل عليه، أي: على الصفة التي هو بها، ومن دلالته على صحة أمر النبي ﷺ[3].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾[4].

«قال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ، والكتاب

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٦٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية ٢٠.

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٤٠٠).

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢١.

على هذا التأويل: القرآن. وقال ابن زيد: هم من أسلم من بني إسرائيل، والكتاب على هذا التأويل: التوراة، والآية تعم»[1].

والأدلة على ذكر صفة النبي ﷺ كثيرة، مبثوثة في كتب العلماء الذين تناولوا هذه القضية بالبحث والتقصي[2]

* * *

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٢) انظر على سبيل المثال: كتاب «الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية» للحبر الأعظم الذي أسلم: «شموئيل الأورشليمي»، ت: عبد الوهاب طويلة؛ وكتاب «محمد في الكتاب المقدس» «للقسيس دافيد بنجامين الكلداني»، الذي أسلم وعُرف باسم «عبد الأحد داود»، دوَّن فيه أسباب إسلامه، ومنها: ذكر صفات محمد ﷺ، انظر: (ص ٢٩) منه، ت: فهمي شما. وانظر كذلك كتاب: «محمد رسول الله» لـ «إتيين دينييه» الذي سمَّى نفسه: «سليمان بن إبراهيم»، ت: د. عبد الحليم محمود، ومحمد عبد الحليم محمود.

ثانياً:
ذكر القرآن الكريم
لقصص أنبياء بني إسرائيل

استعرض القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عامة، وعرض للواقع الذي عايشه هؤلاء المصطفين الأخيار مع أقوامهم، وما لاقوه من العذاب والعنت أثناء دعوتهم ومدى الصبر الذي تحملوه إزاء هذه الغاية، كما بين المعجزات التي أيَّدهم الله تعالى بها عند تحدي المنكرين لهم، ووصفت السور والآيات الكريمة ما جبلوا عليه من حب الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى، وما تحلوا به من طيب النفس ورقة القلب، والشجاعة في قول الحق والإقدام رغم المخاطر كقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

ويجد الوعاة من أهل الكتاب في قصتي موسى وعيسى عليهما السلام على وجه الخصوص ما يشد المؤمنين منهم إلى جانب الحق فيتمسكون به، وحينما يذكر الحق تبارك وتعالى المنصفين من النصارى، فإنه يعطينا انطباعاً أكثر واقعية حيث يصف الباري تعالى هؤلاء بأنهم أقرب مودة للذين آمنوا وأن عاطفتهم الجياشة تظهر حينما يستمعون إلى ما يعرفون من الحق.

قال تعالى: ﴿... لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾[1].

ومما يشدّ هؤلاء إلى التمسك بالعروة الوثقى ذلك الخطاب الإلـهي الدائم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ

(١) سورة المائدة، الآيتان ٨٢ ــ ٨٣.

تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

* * *

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ١٥ ــ ١٦.

ثالثاً:

ذكر القرآن الكريم لحقيقة عيسى عليه السلام

بيَّن الحق تبارك وتعالى حقيقة عيسى عليه السلام وأوضح أنه بشر نبي مرسل من عنده تعالى، كما بين قصة مولده والحوادث التي صاحبت هذا الحدث الهام في مسار النبوة، وقص علينا ما كان بشأن أمه الصديقة مريم البتول: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾(١).

ويقول عن ولادته: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٤٥ ــ ٤٦.

ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾[1].

وعن صفاته: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[2]، وغيرها من الصفات الأخرى.

كما أن الآيات التي تحدثت عن ظلم اليهود لعيسى عليه السلام وتقولهم عليه وعلى والدته والموقف المعادي له في دعوته يلقى آذاناً صاغية من قبل أولئك الذين يعرفون الحق من النصارى[3].

كما تتجلى الحقائق لهم عندما يعرفون مدى تكريم القرآن الكريم لعيسى وأمه عليهما السلام، حيث يقول: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ

---

(١) سورة مريم، الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٣٢.

(٣) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء ١٥٥ ـ ١٥٦].

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

كما أن تبرئة القرآن للسيدة مريم مما نسبه إليها اليهود يوضح دفاع الإسلام عن الحق ورد كيد الحاقدين: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[2].

وهكذا جعل الله تعالى دليل براءتها من دليل الاتهام وذلك من خلال نطق عيسى عليه السلام وهو في المهد، معلناً براءتها، ومسكتاً لأقوال الطاعنين.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

(٢) سورة مريم، الآيات ٢٧ ــ ٣٣، انظر أثر هذه السورة في أسماع هؤلاء المؤمنين وذلك في كتاب «رسالة إلى الأخت سوزان»، لمحمد عيسى داود (ص ٧٢).

وطهارة مريم عليها السلام وتكريمها وارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٢) يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣)﴾[1].

هذا التكريم من الباري عز وجل بين الصورة الناصعة التي أراد اليهود تشويهها طعناً في دعوة عيسى عليه السلام الذي دعاهم إلى نبذ الشرك وإصلاح العقيدة، وترقيق القلوب كما مر سابقاً، وجاء في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)﴾[2].

ففي ذلك دعوة لهم للإيمان بمحمد ﷺ ولهذا أيضاً عاندوه ورفضوا الانصياع إلى الحق، رغم أنه جاءهم بالبينات: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٤٢ ـ ٤٣، وقد عالج الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى هذا الجانب بدقة علمية بارعة. انظر: محاضرات في النصرانية (ص ١٨ ـ ١٩).

(٢) سورة الصف، الآية ٦.

بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾[1].

ثم إن الحقائق الإيمانية تظهر من خلال بيان الحق تبارك وتعالى لحقيقة عيسى عليه السلام في أنه:

١ ــ رسول من عند الله تبارك وتعالى:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾[2].

٢ ــ منزَّه عن ادعاء الألوهية والبنوّة:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن

---

(١) سورة الزخرف، الآيات ٦٣ ــ ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية ١٧١.

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[2].

ويتضح موقفه عليه السلام وبراءته من دعوى الألوهية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[3].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٥٩ ــ ٦٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٥٩.

(٣) سورة المائدة، الآيتان ١١٦ ــ ١١٧.

وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[1].

وذلك رداً على مَن زعم أنَّ عيسى ابن الله:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[2].

ولهذا فإن الحكم على هؤلاء جاء في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[3].

ومن ذلك الحكم على من قال إنَّ الله هو المسيح

(١) سورة مريم، الآيتان ٣٤ ــ ٣٥.

(٢) سورة التوبة، الآيتان ٣٠ ــ ٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٣.

ابن مريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ. . .﴾[1].

٣ ــ أنه لم يُقتل ولم يُصلب:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[2].

* * *

(١) سورة المائدة، الآية ٧٢. وانظر أثر هذه الآيات في «مؤمني أهل الكتاب»، وذلك فيما كتبه محمد مجدي مرجان ــ وقد أسلم حديثاً ــ في كتابه «المسيح إنسان أم إلـٰه»، وقد خصصه للرد على النصارى، انظر (ص ١٧٩) منه.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٧.

رابعاً:

صفاء العقيدة الإسلامية وخلوّها من الشرك والوثنية

إنَّ دين الله تبارك وتعالى دين الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها: «ما من مولود إلاَّ ويولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه فطرة الله التي فطر الناس عليها»[1].

وجاء في الحديث القدسي: (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ٨٠، إذا أسلم الصبي فمات... (٢/ ٩٧)، وفي كتاب القدر ٣، ورواه مسلم في كتاب القدر، رقم الحديث (٢٢/ ٢٦٥٨)، (٨/ ٤٥٨).

دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاَّ بقايا أهل الكتاب. . .)[1].

وعليه، فإنَّ النفس البشرية مهما تقلبت وتبدلت فإن أصل الفطرة يبقى كامناً في حناياها، ومؤمنو أهل الكتاب لم تتأثر فطرتهم قط بلوثة الإلحاد أو غشاوة الإشراك بالله تعالى، وقد فهموا جلياً أن العقائد الوثنية قد تسربت إلى بني إسرائيل عبر التيارات القديمة، كما وجدوا في اليهود من يعبد الذهب والفضة ويغرقون في حمأة الرذيلة والشهوة. ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. رقم الحديث (٦٣/ ٢٨٦٥)، (٩/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) سورة المائدة، الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

كما وجدوا في تحريف النصارى لعقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام انحرافاً خطيراً عن جادة الحق، ومعلوم أن هذا التحريف والتبديل كان بسبب الأثر البالغ الذي أحدثه بولس في الديانة المسيحية[(١)].

وقد وجه الحق الخطاب إلى أهل الكتاب ونهاهم عن تلك المزاعم وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾[(٢)].

ويقول أيضاً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ

---

(١) انظر أثر بولس في تحريف النصرانية في كتاب: «المسيحية ـ نشأتها وتطورها»، شارل جنيبير. وكذلك: «معالم تاريخ الإنسانية»، هـ. ج. ولز (٣/ ٧٠٥)، وكتاب «الإنجيل والصليب»، لعبد الأحد داود، (ص ١٦٠).

(٢) سورة النساء، الآية ١٧١.

﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾[1].

إن غلوهم في الدين أدى إلى انحرافهم نحو العقائد[2] الوثنية كالقول بالتثليث «والأبوة والبنوة»، والصلب والفداء، وجلها موروث عن الديانات الوضعية القديمة كالبوذية والجينية والهندوسية، إلى جانب تأثرهم بالفلسفة الإغريقية اليونانية القديمة، وقد كشف الحق تبارك وتعالى عن هذه المحاكاة إذ يقول:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧. وانظر: أثر هذا في قصة إسلام عميد يهود مصر «زكي عريبي»، وذلك في كتاب: «الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء» (١/١٩٨ ـ ١٩٩).

(٢) انظر بتوسع كتاب: «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية»، لمحمد طاهر التنير، (ص ١١٩ ـ ١٤٦)، وكتاب: «المسيحية ـ نشأتها وتطورها»، (ص ١٥٢ ـ ١٥٥).

﴿لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾[1].

أما العقيدة الإسلامية فهي تخلو من الوثنية، والفلسفات المغرقة في الخيال، البعيدة عن الواقع. وتتلخص بكلمة التوحيد الدائمة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[2].

وهذا ما يشد السائرين في موكب الهدى والنور، من غير تعقيد أو تلفيق[3].

* * *

---

(١) سورة التوبة، الآيات ٣٠ ـ ٣١.

(٢) سورة الإخلاص، الآيات ١ ـ ٤.

(٣) انظر أثر ذلك في كلام إبراهيم خليل أحمد في كتابه: «لماذا أسلمت» (ص ٢٥).

خامساً:

سماحة الإسلام

السماحة والتسامح من المبادىء الهامة التي نادى بها الإسلام، والتطبيقات العملية للسلف الصالح تشهد على حسن معاملة المسلمين لأهل الكتاب، وتبرز هذه الحقائق من خلال الصفحات المشرقة التي سطرها التاريخ بأحرف من نور، عبر مسيرة الإسلام منذ مبعث محمد ﷺ وإلى الآن، ومن ذلك ما نجده من احترام الإسلام لأصول الديانات السماوية التي أنزلت فيها كتب، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

وعن التوراة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[1]. والمقصود بالكتاب هنا التوراة الأصلية التي لم يلحقها التزوير.

وعن الإنجيل يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

وبناء على ذلك فإن المسلمين يقرون بجميع أنبياء بني إسرائيل المذكورين في القرآن الكريم وينزلونهم المكانة السامية البعيدة عن الإفراط والتفريط، كما أن تكريم القرآن الكريم لكل من موسى وعيسى عليهما السلام وتنزيههما عما نسب إليهما دليل على الاحترام والتقدير، كما أن المسلمين ملزمون بتكفير من ينكر رسالتيهما.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآيتان ٤٦ ــ ٤٧.

وعليه فليس في الإسلام أي تعصُّب ضد أحد[١] وليس فيه أي اتهام لنبـي من الأنبياء، ولا تهجم على رسول من الرسل، وليس فيه أي حقد على فئة أو طائفة من الناس لأنه دين السماحة والتسامح، جاء لهداية البشر بالحكمة والموعظة الحسنة، والتاريخ حافل بالكتب التي تحدثت عن معاملة المسلمين لغير المسلمين في الإسلام[٢].

ورُبَّ سائل يسأل: فما أساس العداء القائم الآن بين المسلمين وأهل الكتاب؟ ولا يحار المرء في الإجابة على مثل هذا التساؤل، «لأننا نجد عداء بين اليهود والنصارى. لأن اليهود يدينون بأن موسى نبـي

---

(١) «سماحة الإسلام»، د. أحمد محمد الحوفي (ص ٥١ ـ ٥٢)، بتصرف، وقارن ذلك بكلام مريم جميلة ـ الصحفية الأمريكية اليهودية التي أسلمت ـ وأسباب إسلامها، وذلك في كتاب «الجانب الخفي» (٣/ ١٧ ـ ١٨)، وكلام واصف الراعي في كتابه «كنت نصرانياً» (ص ٤٤)، وقد تحدث فيه عن قصة إسلامه.

(٢) انظر بتوسع: «معاملة غير المسلمين في الإسلام»، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

وأن بني إسرائيل هم شعب الله المختار، ويزعمون أن عيسى ومحمداً كاذبان، وأتباعهما ضالون فلا قيمة في نظرهم للمسيحية ولا للإسلام ولا حرمة.

والمسيحيون يقرون بنبوة موسى وبالتوراة، لكنهم ينقمون على اليهود، إنهم يجرحون نسب عيسى ويجحدون رسالته، وينقمون على المسلمين أيضاً لأن الإسلام في زعمهم دين افتراه عربي ادعى النبوة، وادعى أن دينه ينسخ ما قبله وفي زعمهم أن الدين الناسخ لما قبله إنما هو المسيحية. فيجب أن تنفرد بالبقاء والسيادة.

لهذا توالت هجمات المسيحيين واليهود على الإسلام وعلى النبي ﷺ وما زالت تتوالى حتى اليوم[1].

على أن التسامح في الإسلام يعلو على ترهات أهل الكتاب وما نسبوه إليه من مزاعم لا تكاد تنهض بحجة. فأين مزاعمهم من قوله تعالى لمحمد ﷺ ولأصحابه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

---

(١) «سماحة الإسلام» (ص ٥٢).

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

ومن قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (٤٦) ﴾(١).

ويدعو القرآن محمداً ﷺ لتذكير الناس وأنه ليس عليهم بمسيطر: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ (٢١) لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ (٢٢) ﴾(٢).

ويقول أيضاً: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٣).

ويقول أيضاً: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾(٤).

ثم يدعو إلى قمة الحوار مع أهل الكتاب ليزيح عن أفكارهم تلك العقائد البالية فيقول: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٢) سورة الغاشية، الآيتان ٢١ ــ ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٥٤.

﴿تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

وأين تقول أهل الكتاب على الإسلام والمسلمين من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[2].

والمسلمون مطالبون بمراعاة الحقوق والعهود ومنهيون عن نكثها: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾[3].

ويقول أيضاً: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ﴾[4].

كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

(٤) سورة النحل، الآية ٩١.

﴿اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[١].

وجاء في قوله ﷺ: «ألا من قتل نفساً معاهدة، له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين خريفاً»[٢].

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن هشام بن حكيم بن حزام قال، مر بالشام على أناس، وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون في الدنيا»[٣].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الديات، باب ١١، رقم الحديث (١٤٠٣)، باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهدة (٤/ ١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس، رقم الحديث (١١٧ ــ ٢٦١٣)، وفي بعض الروايات أناس من الأنباط بالشام (٨/ ٤١٤)، وجاء في رواية أبـي داود: «ناس من القبط في أداء الجزية». انظر: مختصر سنن أبي داود =

واتبع الخلفاء الراشدون المهديون سنة نبيهم ﷺ، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي المسلمين حينما وجههم بقيادة أسامة بن زيد إلى الشام بقوله:

«أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوا عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلَّا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...»[1].

وتشهد كتب التاريخ مرة أخرى على مدى التسامح عند المسلمين وذلك من خلال العهدة العمرية لأهل بيت المقدس، وهي جديرة بإسكات مزاعم وأكاذيب الطاعنين في الإسلام.

= للمنذري، رقم الحديث (٢٩٢٢)، باب: التشديد في جباية الجزية (٤/ ٢٥٣).

(١) تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٣/ ٢١٣)، وراجع تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٧٦)، وانظر كتابه إلى أهل نجران في: الخراج، لأبي يوسف (ص ٧٣).

ومما جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم»[1].

ومن وصاياه رضي الله تعالى عنه: أنه «يوصي بذمة الله وذمة رسوله ﷺ، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم، ولا يكلفوا إلَّا طاقتهم»[2].

أما عن التسامح في أمر الجزية، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يكتب في وثيقة الصلح مع أهل الحيرة ما يلي «. . . وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر، حتى صار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٤/ ١٥٨).

(٢) صحيح الإمام البخاري، ورد في عدة كتب منها: فضائل الصحابة، باب ٨، قصة البيعة، (٤/ ٢٠٦).

وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام...»[1].

وعلى هذا الهدي نرى عمر بن الخطاب يسير، فقد روي أنه رأى شيخاً كبيراً عاجزاً من أهل الكتاب، يسأل الناس الصدقة، فقال له «فما ألجأك إلى ما أرى، قال: الجزية والحاجة والسِّنّ؛ قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم»[2]، ثم وضع الجزية عنه وعن أمثاله.

كما كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله في البصرة عدي بن أرطاة، يقول: «... وانظر من قبلك من أهل الذمة كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت المسلمين ما يصلحه»[3].

---

(١) الخراج، لأبي يوسف (١٥٥ ــ ١٦٥).

(٢) المصدر السابق (ص ١٣٦).

(٣) الأموال، لأبي عبيد، القاسم بن سلام (ص ١٢١ ــ ١٢٢).

ويعترف بعض الكتاب الغربيين بهذا التسامح، فمن ذلك ما قاله آدم متز: «ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة ـ أي: باب من أبواب الأعمال ـ ، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء، وكان رئيس اليهود ببغداد هو طبيب الخليفة». ويقول في موضع آخر: «ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية»[1].

* * *

(١) «الحضارة الإسلامية»، آدم متز (١/ ٨٦) و (١/ ١٠٥).

سـادساً :

التدرج في التشريع الإسلامي ويُسـر العبـادات

امتاز التشريع الإسلامي باليسر في أحكام العبادات، حيث راعى أحوال الناس وظروفهم واختلاف أوضاعهم، وامتلأت المكتبة الإسلامية وزخرت بالمصنفات والمؤلفات الفقهية التي شرحت أحكام العبادات والمعاملات وغيرها مما يتعلق بأمور الناس وحاجاتهم.

كماساير التشريع الإسلامي الفطرة البشرية وميولها منذ بزوغ فجر الإسلام إذ أنه جاء والعرب في إباحة واسعة، يكرهون كل ما يقيد حريتهم ويحد من شهواتهم، وقد تمكنت من نفوسهم عادات كثيرة وغرائز متنوعة لا يستطيعون التحول عنها دفعة واحدة، فاقتضت الحكمة الإلـٰهية ألا يفاجَؤوا بالأحكام جملة،

فتثقل بها كواهلهم وتنفر منها نفوسهم، فلذلك نزل القرآن نجوماً ووردت الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً، ليكون السابق من الأحكام معداً للنفوس، ومهيأ لقبول اللاحق، وكان أغلب هذه الأحكام ينزل.. بعد أسباب تقتضيه فيكون أوقع في النفس وأقرب إلى الانقياد.

من ذلك تحريم الخمر، فإنها كانت قد تمكنت من نفوس العرب تمكناً اقتضت منه الحكمة الإلـٰهية أن يتدرج القرآن في تشريع أحكامها، فلم يصرح لهم بتحريمها بادىء ذي بدء، بل قال في الجواب عنها وعن الميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1].

ولا يفهم طلب الكف عنهما من هذه الآية إلَّا الخبير بسر التشريع. لأن ما كثر إثمه ينبغي تركه، إذ لا يوجد في الأفعال شر محض، فالعبرة في الحل والحرمة بغلبة جهة المصلحة أو المفسدة[2]، وإن كان المراد منافع المال بالتجارة فيها لا في شربها.

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

(٢) «تاريخ الفقه الإسلامي»، محمد علي السايس (ص ٢٧).

وبعد أن أشار إلى أنه ينبغي تركها لغلبة إثمها نهى الناس عن الصلاة في حالة سكر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[1]، ثم صرح بالنهي عنها نهياً عاماً مؤكداً فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

ولم يقتصر الأمر على التدرج في قضية الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، بل نجد الكثير من المسائل الأخرى التي لوحظ فيها التوسعة والرفق بالعباد، ومن ذلك ما يتعلق بعدد ركعات الصلاة، والأمر بالكف عن القتال لضعف حال المسلمين، وعقوبة الزاني، وهناك الكثير من الأمور التي استقرأها الفقهاء المسلمون ووضعوا لها الشروح والتعليقات[3].

---

(١) سورة النساء، الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآيتان ٩٠ ــ ٩١.

(٣) «تاريخ الفقه الإسلامي»، (ص ٢٧ ــ ٢٨)، بتصرف.

سـابـعاً:

عـدم وجـود واسطة بين الخلق والخالق في الإسلام

إن أعظـم رتبـة يرتقـي إليهـا الإنسـان، هي رتبة العبـودية لله تعـالى، بها يـكون متحرراً من عبادة العباد إلـى عبـادة رب العبـاد، وجميـع الفلسفـات والأديـان الـوضعية والمحرفة لهـا جذور في تأصيـل عبادة البشر واتخـاذهم أربـابـاً من دون الله تعالى. وهـي انتكـاسة خطيرة لا يعرفها إلاَّ الذين تحرروا من ربقة الجاهلية.

وفي الإسلام ليس بين الله تبارك وتعالى وسيط يلجأ إليه الناس، وليس أحد أحق بالوساطة من أحد، بـل النـاس سـواسيـة كـأسنـان المشـط، وكلهـم عبيـد الرحمن، أقربهم إليه أتقاهم، وباب رحمته تعالى مفتوح لكل تقي صالـح راغب بفضل الله ولكل مذنب

عاص يرجو رحمة ربه وغفرانه، فالله تعالى أقرب إلى عباده من حبل الوريد، ليس بينهم وبينه حجاب وليس على بابه سَدَنة ولا كهّان[1].

يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]، وهو تعالى: «يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

إن الإسلام يربي في نفوس أبنائه المؤمنة الطهارة في القول والعمل، ويدعوهم إلى التقرب إلى الله العزيز الغفار، في جميع أحوالهم: في المنشط والمكره، وفي السراء والضراء، فهو الذي يعطي

---

(١) انظر بتوسع كتاب: «المسيح إنسان أم إله»، لمحمد مجدي مرجان (ص ١٤١).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة، باب (٥) قبول التوبة من الذنوب، رقم الحديث (٣١ ـ ٢٧٥٩) (٩/ ٨٨)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٩٥، ٤٠٤).

ويمنع، وهو الذي يغفر ويرحم، ويتجاوز عما هو به أعلم، وهو الذي يقبل توبة عبده الآبق، مهما كانت ذنوبه حتى ولو بلغت مياه البحر فإنه يغفرها له إلاَّ الشرك: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾[1].

فغفران الذنوب وقبول التوبة بيد الله تعالى وحده، لا يشاركه فيها أحد، فهو الغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه.

وهذه المفاهيم من شأنها أن تحرر الإنسان من الوصايا التي يفرضها رجال الدين على أهل الكتاب. كما أن من شأنها تحريره من فكرة الخطيئة الأولى التي انتقلت إلى النصارى عبر الديانات الوضعية والوثنية، وقد نادت بأن الإنسان منذ أن خلق وهو باق في ظل الخطيئة التي أقدم عليها آدم ــ أبو البشر ــ .

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣. وانظر أثر ذلك في قصة إسلام أشهر اقتصادي في العالم «كريستوفر شامونت»، وذلك في كتاب «الجانب الخفي» (١/ ٤٧).

أما العقيدة الإسلامية فإنها تضع الموازين بالقسط وتدعو إلى عدم تحمل الإنسان خطيئة غيره، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1].

ولم يترك الحق تبارك وتعالى عباده حيارى، تنهب عقولهم عقيدة فاسدة، وتنهش ضمائرهم أوهام بالية، بل أراح العباد من ظلمة العناد والفساد إذ يقول: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[2].

لقد تاب آدم عليه السلام وتقبل الله تعالى توبته وهداه إلى صراطه المستقيم، وأفاء عليه وعلى ذريته من بعد بالخير العميم، فلا خطيئة تعم البشر، بل مغفرة من لدن غفور رحيم وتكريم من لدن عزيز كريم: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ

---

(١) سورة النجم، الآيات ٣٨ ــ ٤١. وانظر أثر ذلك في كلام واصف الراعي في كتابه «كنت نصرانياً» (ص ٥٤).

(٢) سورة طه، الآيتان ١٢١ ــ ١٢٢.

﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[1].

فالله أعلم بعباده، وهو أعلم بمن اتقى وبمن عصى، وهو الذي يجزي المحسنين بما كسبت أيديهم ويجزي المسيئين على ما اقترفوا من الكبائر والذنوب، يقول تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[2].

وعليه فإن الإنسان في ظل الإسلام يحاسب عن نفسه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة النجم، الآيتان ٣١ ــ ٣٢.

رَسُولًا ﴿١٥﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

وقد وجه الحق تبارك وتعالى خطاباً عاماً للناس يدعوهم إلى التبصر بمآل الإنسان وحذرهم من التعلق بالدنيا والركون إلى غرور الشيطان إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾[3].

هذا إلى جانب العديد من الأسباب الأخرى، كالإعجاز في القرآن الكريم[4] والإعجاز اللغوي فيه[5]

---

(١) سورة الإسراء، الآيات ١٣ ـ ١٥.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٣) سورة لقمان، الآية ٣٣.

(٤) راجع قصة إسلام الطبيب «موريس بوكاي» وأسباب إسلامه، وذلك في كتاب: «الجانب الخفي» (١/ ٢٤١).

(٥) انظر أثر ذلك في قصة إسلام د. أحمد سوسة، المصدر السابق (٢/ ٢٠٢).

وأهمية الإسلام في أنه دعوة إلى تحرر الشعوب[1].

* * *

(١) قارن هذا الكلام بكلام «روجيه جارودي» وقصة إسلامه. المصدر السابق (١/ ٨٧). وللمزيد يراجع كتاب: «حوارات مع مسلمين أوروبيين»، د. عبد الله أحمد قادري الأهدل، وكذا كتاب «الحوار مع أهل الكتاب ـ أسسه ومناهجه»، خالد عبد الله القاسم.

ثـامـنـاً:

دعوة الإسلام إلى تحـرر الشعوب المقهورة سياسياً واقتصادياً

ينطلق هذا المفهوم من مبدأ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية سياسياً واجتماعياً والتي يستطيع الإنسان أن يعيش في ظلها بعيداً عن الاستعباد والرق، ويتخذ هذا المنحى شكلاً عملياً وطابعاً مرناً حينما نجد «الـدولـة الإسـلاميـة ملتـزمـة بكفـالـة تلـك الحقـوق وضمانها..

وعليه، فإنها ليست مسؤولية سلبية تكتفي بالنص على الحقوق وتقريرها والنهي عن المساس بها نظرياً، ولكنها مسؤولية إيجابية تمتد إلى تهيئة الوسائل اللازمة لكفـالـة ممـارسة هـذه الحقـوق عمليـاً والعقـاب على

الاعتداء عليها[1].

وبالرجوع إلى الأسس التي بنيت عليها هذه المبادىء، نجد أنها مستمدة من إقرار الإسلام لحق الإنسان في الحياة الكريمة، وهي ما حرصت الشريعة الغراء على صيانتها وجعلها من أوائل مقاصدها، وعملت على إقرارها لجميع الناس سواء في دولة الإسلام أو خارجها.

فقتل النفس وإزهاق الروح جريمة كبرى في نظر التشريع الإسلامي يعاقب عليها سواء كان المعتدي عليه مسلماً أو غير مسلم.. ولا يستثنى من ذلك إلاَّ المحارب.

ومن ذلك أيضاً حرية الإنسان الشخصية في الإقامة والسفر والتنقل واختيار السكن والعمل والتصرفات الأخلاقية كل ذلك حر ولا تحد فيه الحرية إلاَّ في أحوال استثنائية معروفة لمصلحة عامة، كمنع السفر دخولاً وخروجاً حين انتشار الوباء.. وكاختيار عمل ممنوع في الإسلام كصنع الخمر والاتجار بها

---

(١) من كتاب: «أصول الفكر السياسي في الإسلام»، د. محمد فتحي عثمان، (ص ٢٠٠).

بالنسبة للمسلمين، وكترويج المخدرات وما هو ضار بالمجتمع ككل. .

كما أعطى الإسلام الإنسان أي إنسان مسلماً أو غير مسلم ـ من مواطني الدولة القائمة على الإسلام الحق في ممارسة الحياة الاقتصادية وذلك بأن يسلك طريقاً للكسب المشروع في حدود أحكام الشريعة، ويمارس سائر المعاملات الاقتصادية من بيع وإجارة وشركة وتجارة وزراعة وغيرها، على أن يتقيد بأحكام الإسلام المتعلقة بهذه المعاملات والتي هدفها منع الظلم والاستغلال في شتى صورها كالربا والاحتكار والغش وسائر العقود الباطلة كالقمار ونحوه[1].

كما أسهمت الشريعة الغراء في العمل على تحرير الشعوب المقهورة من ربقة العبودية واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان وذلك عبر إزالة الفوارق الطبقية في المجتمع اعتماداً على مبدأ تكريم الإنسان

---

(١) انظر بتوسع: «نظام الإسلام، الحكم والدولة»، محمد المبارك (ص ١١٥ ـ ١١٦)، دار الفكر، بيروت. وكذلك كتاب: «من أصول الفكر الإسلامي» (ص ٢١٧ ـ ٢١٩).

المنصوص عليه في الآية الكريمة: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾[1].

وكانت الطرق التي اتخذها الإسلام لتحرير العبيد والأرقاء وحتى الشعوب الواقعة تحت نير الظلم، متعددة ومتنوعة[2].. وكان من حكمة الإسلام أنه لم يبح الاسترقاق إلاَّ في الحرب الشرعية، لأن فيه المعاملة بالمثل، وبعد ذلك خير المسلمين بين إطلاق الإرقاء بعوض مالي أو بغير عوض، كما فعل رسول الله ﷺ مع سبي هوازن، وتنافس المسلمون في عتق الأرقاء، وفي شرائهم من مالكيهم لإعتاقهم، ليقتدوا برسول الله ﷺ الذي كان يوصي بهم، ويضرب المثل الحسن في ذلك، كي يقضي على عوامل الكراهية، والحفيظة، ويزرع المحبة والرفق.. وقد حض الإسلام على العتق تقرباً إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) «من أصول الفكر الإسلامي» (ص ٢٠٢) وما بعدها.

ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: (من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار، حتى فرجه بفرجه)[2].

وبهذا التسريح الذي لا عوض فيه، امتاز المسلمون عن الأمم الأخرى، لأن العبرانيين كانوا يطلقون أرقاءهم، بعد أن يتموا في الرق ست سنوات، وكان الأثينيون يطلقون أسراهم إذا ما أدوا ثمن الإطلاق[3].

ومن المفاتيح التي أطلقها الإسلام لتحرير الرق، هو فتح خزائن الدولة إذ جعل فيها سهماً مقرراً في كل عام لافتداء الأسرى وتحرير المستعبدين..

---

(١) سورة البلد، الآيات ١١ ــ ١٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب العتق، باب فضل العتق، رقم الحديث (٢٢)، (٥/ ١٤٠).

(٣) «الإسلام والعلاقات الدولية»، د. محمد الصادق عفيفي (ص ١٤٦ ــ ١٤٧)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٤م.

ومنها قانون الكفارات، سواء كان في مسألة الظهار أو كفارة اليمين، أو غير ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه حول هذا الموضوع[1] ككفارة إفطار يوم رمضان عمداً، وكفارة اليمين المعقودة والمكاتبة، وأم الولد والتدبير[2].

إن فتح باب التحرر أمام الأرقاء والعبيد جعل الكثير من الناس يدخلون في هذا الدين الحنيف خاصة من قبل الشعوب التي ذاقت مرارة القهر والاستعباد، سواء في ذلك ما كان من أمر الأقباط في مصر إبان الفتوح الإسلامية الأولى، وما كان من أمر الشعوب في شرق أفريقيا وغربها حيث كان الرق متفشياً بشكل بشع، إلى غيرها من الأمم التي تاقت إلى التحرر من ظلم أباطرة الرومان وقياصرتها وبطش الأكاسرة وعَنَتِهم.

* * *

---

(١) «من أصول الفكر السياسي» (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢) «الإسلام والعلاقات الدولية» (ص ١٤٧ ـ ١٤٨).

الخاتمة

إن الجوانب المضيئة والمشرقة من تكريم الإسلام لمؤمني أهل الكتاب، وإنزالهم المنزلة الرفيعة اللائقة بهم تلامس شغاف قلوب الذين يحبون أن يروا أنفسهم في مرآة الإسلام ويتشوقون لمعرفة مكانتهم عند الله تبارك وتعالى.

وبعد ذلك كله لا بدَّ لنا من خاتمة نقف فيها على بعض ما يجب في حق هؤلاء من جانب إخوانهم المسلمين، وبالتالي الوقوف على بعض ما يجب على هؤلاء من حق تجاه الإسلام.

ذلك لأن الأوضاع التي يعيش في ظلها إخواننا الجدد مختلفة بحسب ظروفهم والبيئة التي تحيط بهم، فمنهم من يلاقي العنت والاضطهاد والقتل بعد نطقه

بالشهادتين[1].

وعليه، فإن من واجب المسلمين تجاه إخوانهم الجدد النظر في أحوالهم ومدّ يد العون والتأييد المادي والمعنوي لهم[2]، وهذا العمل جدير بأن تتكفل به الدول الإسلامية مجتمعة، وكذا الهيئات التي تعنى

---

(١) انظر حالات الاضطهاد التي يعيشها الداخلون في الإسلام، وذلك في كتاب: «الجانب الخفي» (١/ ٥٢)؛ وكتاب: «كنت نصرانياً»، لواصف الراعي (ص ١٥٠ ـ ١٥١)؛ وكتاب: «لماذا أسلمت»، بقلم إبراهيم خليل أحمد، وقصة معاناته؛ وكتاب: «لماذا وكيف أسلمت»، لأحمد سامي عبد الله، وما كان من مصيره، رحمه الله تعالى.

(٢) يبيِّن واصف الراعي مدى المعاناة والشدَّة التي يعيشها الداخلون في الإسلام والصادرة من قبل أقوامهم، وما يتعرضون له من تشكيك واتهامات، ويقول عن ذلك: «ويحز في نفسي أن أقول: إن تقصير المسلمين في رعاية إخوانهم الجدد ودعمهم معنوياً يعطي فرصة أكبر لأعداء الإسلام للخوض في هذا التشكيك». انظر كتاب: «كنت نصرانياً» (ص ١٥١)، وهذه همسة عتاب يوجهها واصف الراعي إلى إخوانه المسلمين.

بالأعمال الخيرية وكذا الثقافية، للنظر في أوضاع الداخلين في دين الله تعالى ودراسة أحوالهم دراسة ميدانية جدية تمهيداً لتقديم كل ما يلزمهم، وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات إلاَّ أنها لم تغط جميع الحالات المطلوبة والقائمة فعلياً.

وفي هذه المناسبة أوصي بضرورة إيجاد وسائل حديثة مبتكرة للتقرب من المدعوين إلى الإسلام أو الذين يتحرَّقون للهداية والدخول في دين الحق تبارك وتعالى، على أن يكون الخطاب الإسلامي واضحاً مبسّطاً لحقائق ومبادىء الإسلام وأباطيل خصومه، ومستخدماً أساليب العلم الحديث في عملية التواصل، كما ينبغي على الدعاة تجنُّب الارتجال في الدعوة أو التعصُّب لمذهب معيَّن، وعدم إثارة الخلافات المذهبية المثيرة للحقد والكراهية في المدعوين الجدد. وهذا ما ينفِّرهم ويجعلهم مشتَّتين.

وعلى الداعي أيضاً أن يتحلى بجملة من الصفات التي تؤهِّله للنجاح في دعوته، ومنها:

١ ـ الإيمان بالدعوة إلى الله تعالى خالصاً قولاً وعملاً.

٢ ـ القدوة الحسنة.

٣ ـ الاستقامة.

٤ ـ التضحية والإيثار وإخلاص الحب في الله.

٥ ـ الصبر على الأذى.

٦ ـ الحلم وعدم اليأس.

٧ ـ العفو والتسامح.

٨ ـ العفة والزهد عما في أيدي الناس.

٩ ـ التواضع.

١٠ـ أداء العبادة ومتابعتها[١].

أما حديثو العهد بالإسلام فعليهم الترفُّق في الولوج في أمر هذا الدِّين، وتجنُّب الغلوّ والتنطُّع، قولاً وعملاً، وما يخص المعاملات والأحكام الشرعية،

---

(١) انظر بتوسُّع: «تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام، وأحكامه وضوابطه وآدابه»، د. وهبة الزحيلي، ضمن كتاب «معاملة غير المسلمين في الإسلام» (٢/ ٥٢٠) وما بعدها.

فالتفقُّه في الدين على أيدي العلماء الأثبات من أولويات ما يجب الإلمام به.

وعليهم أن يعلموا أن الوسطية مطلوبة.. فلا إفراط ولا تفريط، بل يجب رد الأمر إلى الله تعالى وإلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر والعلماء: ﴿... فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[1].

ومما ينبغي كذلك الحرص على عدم الإسراع في الإجابة على أي سؤال يتعلق بأمر الدين إن لم يكونوا على دراية وعلم أكيدين.

أما أولئك الذين يكتمون إيمانهم ولم يشهروا إسلامهم بعد، خشية الأخطار المحدقة بهم، فما عليهم سوى الصبر من جانبهم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فعسى الله أن يهيىء لهم من أمرهم رشداً، ويفتح عليهم أبواب فضله.

كما ينبغي عليهم اجتناب بؤر الفساد والإلحاد، لأنها بريد الوقوع في المهالك، وبدلاً عنها،

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٣.

عليهم اقتناص الفرص ومتابعة البحث عن المحاضن الإسلامية الكفيلة بإزالة ما يعترضهم من فتن ومحن، فهي ترعاهم وتسهل لهم طريق التعمُّق في دراسة الإسلام وشرح مفاهيمه عقيدة وشريعة وأسلوب حياة عبر الكتب العلمية النافعة ووسائل الإعلام الهادفة.

والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ.

٣ ـ أحكام القرآن، أبو بكر، أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤ ـ أسباب النزول، أبو الحسن علي الواحدي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، طبعة ١٤٠٨هـ.

٥ ـ الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: د. محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦ ـ البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٧ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨ ـ تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٩ ـ تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٧٦هـ.

١٠ ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن عساكر، ت: نشاط غزاوي، دار الفكر، دمشق، طبعت بالأوفست.

١١ ـ تبيين الحقائق، شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان الزيلعي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بالأوفست.

١٢ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ت: محمد اليونسي دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٣ ـ تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، طبعة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤ ــ تفسير الفخر الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

١٥ ــ تفسير القرآن العظيم، أبو الفدا إسماعيل بن كثير، المكتبة الشعبية.

١٦ ــ تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧ ــ التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، إبراهيم بن حسن، ط: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٤م.

١٨ ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١١هـ، الطبعة الأولى.

١٩ ــ الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، طبعة ١٤١٦هـ.

٢٠ ــ الحضارة الإسلامية، آدم متز، ت: محمد أبو رية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٢١ ـ حوارات مع مسلمين أوروبيين، د. عبد الله الأهدل، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٢ ـ الحوار مع أهل الكتاب، خالد القاسم، الرياض، طبعة ١٤١٤هـ .

٢٣ ـ الخراج، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، طبعة ١٣٠٢هـ .

٢٤ ـ الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٥ ـ دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

٢٦ ـ رسالة إلى الأخت سوزان، محمد عيسى داود، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

٢٧ ـ الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، ت: عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق ١٤١٠هـ .

٢٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود شكري الآلوسي، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٩ ـ سماحة الإسلام، د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧م.

٣٠ ـ سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١ ـ سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٢ ـ صحيح الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا ١٩٧٩م.

٣٣ ـ صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، ط ١، ت: عصام الصبابطي وآخرون، ١٤١٥هـ، دار أبي حيان، مصر.

٣٤ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، محمد بن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٥ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية، الكويت ١٤٠٨هـ .

٣٦ ـ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ .

٣٧ ـ كنت نصرانياً، واصف الراعي، مطبعة الفرزدق، الرياض، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٨ ـ لماذا أسلمت، إبراهيم خليل أحمد، ت: د. عبد الله الصباغ، دار القلم، دبي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٩ ـ لماذا وكيف أسلمت، أحمد سامي عبد الله، طبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٠ ـ المجموع شرح المهذب، الإمام، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، طبعة دار الفكر، بيروت.

٤١ ـ محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ت: فهمي شما، مطابع الدوحة الحديثة، ط: ١٩٨٤م.

٤٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ؛ والطبعة الأولى، ت: د. سمير المجذوب، وآخرون، ١٤١٣هـ .

٤٣ ـ المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان، ت: عبدالرحمن دمشقية، مكتبة الحرمين، ١٤٠٦هـ.

٤٤ ـ المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ت: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

٤٥ ـ معاملة غير المسلمين في الإسلام، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان ـ الأردن، ١٩٨٩م.

٤٦ ـ المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٧ ـ منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، منشورات دار ثقيف، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

• • •